فاعلية المعاوضة اللغوية عند الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢ هـ) في كتابه المفردات في غريب القرآن

The Effectiveness of Lexical Substitution in the Works of Al-Raghib al-Isfahani (d. ٥٠٢ AH) in His Book Mufradat Gharib al-Qur'an

م. م. خضير قدوري متعب القيسي*
KHDHAIR QADWRI MUTAAB
الإيميل Khudhaeiralqaisi@gmail.com

ملخص البحث:

الحمد لله رافع الذين أوتوا العلم درجات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ما دامت الأرض والسموات، أمّا بعد.

فإن هذا البحث يقف على بيان الألفاظ التي وقعت فيها معاوضة لغوية في الألفاظ في كتاب مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) وأسباب هذه المعاوضة اللغوية وبيان فاعلية ودلالة هذه المعاوضة وأثرها في المعنى المراد دون غيره؛ مما يبين جمالية النظم القرآني ووجوه إعجازه اللغوي، وتتمثل مشكلة البحث في أننا نجد في مواضع كثيرة من التنزيل الحكيم إيثار النظم القرآني لفظة دون غيرها من الألفاظ سواء في الأسماء، أو الأفعال، أو حـــتّى الحروف مع وجود ألفاظ أخرى تشترك في المعنى المراد أو تقترب منه، ممّا يدعو إلى بيان هذه الظاهرة والوقوف عند أسبابها، ومن ثم الأثر اللغوي لكلّ لفظٍ دون غيره من الألفاظ.

ويهدف هذا البحث إلى بيان المعاوضة اللغوية ومكانتها وأثرها في التركيب اللغوي، وخاصةً عندما يتعلق موضوع البحث بالنظم القرآني ، وبيان التعاوض اللغوي في الأسماء والأفعال التي وردت عند الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات في غريب القرآن ، والوقوف على الدلالة اللغوية التي يحملها اللفظ دون غيره، وأثر ذلك في المعنى الذي يؤديه السياق القرآني .

* دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية، العراق.

والمنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج التحليلي والبياني للألفاظ التي وردت فيها معاوضة لغوية ووقف عندها الراغب الأصفهاني.

أما أهم النتائج التي توصل إليها البحث فقد بينت دراسة المعاوضة اللغوية للنظم القرآني في كتاب المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، وقد جاءت تعليلات الراغب الأصفهاني للمعاوضة اللغوية في الغالب مختصرة دون إخلال.

كلمات مفتاحية: المعاوضة اللغوية ، الراغب الأصفهاني، كتاب المفردات في غريب القرآن.

Abstract

Praise be to God, Who raises those who have been given knowledge by degrees, and may blessings and peace be upon our master Muhammad and upon all his family and companions as long as the earth and the heavens endure. Now then:

This research aims to explain the words that have been subjected to linguistic exchange in the words in the book “Mufradat Gharib al-Quran” by al-Raghib al-Isfahani (d. ٥٠٢) and the reasons for this linguistic exchange and to explain the effectiveness and significance of this exchange and its impact on the intended meaning without others; which shows the beauty of the Qur’anic system and the aspects of its linguistic miracle.

The problem of the research is that we find in many places in the wise revelation the Qur’anic system preferring one word over another, whether in nouns, verbs, or even letters, with the presence of other words that share the intended meaning or are close to it, which calls for explaining this phenomenon and examining its reasons, and then the linguistic impact of each word without others.

This research aims to demonstrate linguistic compensation, its position and its effect on linguistic structure, especially when the research topic is related to the Qur’anic system, and to demonstrate linguistic compensation in the nouns and verbs mentioned by Al-Raghib Al-Isfahani in his book Al-Mufradat fi Gharib Al-Qur’an, and to stand on the linguistic meaning that the word carries and not others, and the effect of that on the meaning conveyed by the Qur’anic context.

The method followed in this research is the analytical and rhetorical method for the words in which linguistic exchange occurred and which Al-Raghib Al-Isfahani stopped at.As for the most important results that the research reached, the study showed the linguistic compensation of the Qur’anic

system in the book "Al-Mufradat fi Gharib Al-Quran" by Al-Raghib Al-Isfahani. Al-Raghib Al-Isfahani's justifications for the linguistic compensation were mostly brief without prejudice, and they are represented in.

Keywords: Linguistic compensation, Al-Raghib Al-Isfahani, The Book of Vocabulary in the Strange Words of the Qur'an.

المقدمة

الحمد لله الكريم المنان المحمود في كل شأن وزمان، المتفضل بالرحمة والغفران، والصلاة والسلام التامان الأكملان على سيدنا وحبيبنا محمد سيد الأكوان، المبعوث بأصدق لسان، صلاة وسلاماً دائمين ما هاج شوق وفاضت الأشجان، وعلى آله الطيبين الأطهار وصحابته الأخيار ذوي الفضل والإحسان.

أما بعد

فقد أعجز الله أهل العربية و بكتابه الحكيم، بما فيه من أساليب وفنون بلاغية وبيانية ولغوية ، فتحداهم أن يأتوا بمثله أو أن يأتوا بعشر سور، أو أن يأتوا بسورة واحدة فقط؛ ليبين لهم عجزهم أمام هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء : ٨٨)، ولما كان القرآن الكريم المعجزة الدائمة إلى قيام الساعة، فهو الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه ولا يَخْلَقُ عن كثرة الرد ، فكان اهتمام العلماء والمفسرين وأهل اللغة بالوقوف عند هذا التنزيل الكريم حفظًا وفهمًا وبحثًا ودراسة وبيان وجوه الإعجاز فيه، فهو الكتاب الذي أعجز الفصحاء وأخرس البلغاء، فكثرت الدراسات والكتب والتفاسير والبحوث التي تعنى بالقرآن الكريم ، ومن بينها كتاب المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)، فتعرّض فيه لبيان الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم من خلال ذكره للمادة اللغوية للأسماء والأفعال مشيرًا إلى استعمالها أو المعاوضة عنها في النظم القرآني بأسلوب يميل فيه إلى الإيجاز في أغلب المواد اللغوية التي ذكرها.

فعقدت العزم على دراسة تختص ببيان الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم مبينًا بذلك جهود علم من أعلام اللغة والذي له باع طويل في خدمة القرآن الكريم، فضلاً من كون هذا الكتاب فيه إشارات لمادة البحث ألا وهي المعاوضة اللغوية، إذ لم أقف على دراسة تختص ببيانها في هذا الكتاب.

واقتضت مادة البحث أن يكون على مبحثين مسبوقين بمقدمة وتمهيد، فذكرت في المبحث الأول نماذج من المعارضة اللغوية في الأسماء، وذكرت في المبحث الثاني نماذج من المعاوضة اللغوية في الأفعال مبيّنًا أسباب هذه الظاهرة اللغوية في الألفاظ التي اختارها النظم القرآني دون غيرها ومدى فاعلية هذه المعاوضة، فضلاً عن الأثر الذي أفادته للمعنى وأثرها في الدلالة، وفي كل موضع يكون تعليل الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) هو المنطلق لذكر التعليلات التي ذكرها غيره من علماء اللغة والمفسرين السابقين له والمتأخرين عنه، متخذاً من المنهج الوصفي والبياني منهجًا لهذا البحث، ثم أتبعث الدراسة بذكر أبرز النتائج التي توصل إليها البحث وثبتًا بالمراجع والمصادر.

التمهيد

المعاوضة اللغوية في اللغة والاصطلاح:

جاءت المعاوضة في المعاجم اللغوية على معانٍ مختلفة، فقد جاء في كتاب العين للخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ) العوض معروف، يقال: عضته عياضًا وعوضًا، والمستعمل التعويض عوضه من هبته خيرًا، واستعاضني سألني العوض، عاوضتُ فلانًا بعوضٍ في البيع والأخذ فاعتضته مما أعطية[١] .

وجاء في القاموس المحيط : أنها تأتي بمعنى الخلف، أعاضني الله منه عوضًا وعياضًا، وأصله عواض، والاسم العوض والمعوضه، وتعوض أخذ العوض، واستعاضه سأله العوض معاوضة، أعطاه إياه، واعتاضه جاءه طالبًا للعوض [٢] .

(١) العين: مادة (عوض): ١٩٣/٢ .

(٢)القاموس المحيط، مادة (عوض): ٨٣٦ .

وأما المعاوضة في اصطلاح اللغويين فهي لا تخرج عن معناها اللغوي، إذ هي من باب التعاوض وأخذ الشيء بالشيء، ولعل هذا المصطلح مأخوذ من اصطلاح الفقهاء أي المبادلة بين عوضين[١] .

وأمّا ما يخص الفروق اللغوية فقد ذكر أبو هلال العسكري ما يخص المعاوضة بقوله: " الثّمن يستعمل فيما كان عينًا أو ورقًا والعِوض يكونُ من ذلك ومن غيرهِ، تقولُ: أعطيتُ ثمنَ السلعة عينًا أو ورقًا، واعطيتُ عوضها من ذلك أو من العِوض"[٢].

فالمعاوضة اللغوية تمثّل مفهومًا يستعمل للإشارة إلى الكلمات التي تحمل تشابهًا مع غيرها لتسهيل فهمها ومعرفة معانيها الدقيقة تبعًا للسياق الذي وردت فيه، ممّا يعزز توضيح وفهم النصوص القرآنية.

ويعد كتاب المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني من المصادر المهمة التي تهدف إلى توضيح معاني الكلمات القرآنية واستعراض الترادف اللغوي والمعاوضة اللغوية لهذه الكلمات.

المبحث الأول: المعاوضة بين الأسماء

أولا : (الحمد) على (المدح) أو (الشكر):

قال الراغب الأصفهاني عند بيانه لفظ (حَمَد) : " الحَمدُ لله تعالى: الثناء عليه بالفضيلة ، وهو أخصّ من المدح وأعمَّ من الشكر، فإنّ المدحَ يُقال فيما يكون من الإنسان باختياره، وممّا يقال منه وفيه بالتسخير، فقد يمدح الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه، كما يمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه، والحمد يكون في الثاني دون الأول، والشكر لا يقال إلّا في مقابلة نعمةٍ، فكلّ شكر حم ، وليس كلّ حمدٍ شكراً، وكلّ حمدٍ مدح، وليس كل مدح حمدًا"[٣] .

وقد ذكر الرازي (ت٦٠٦هـ) الفرق بين الحمد والشكر فيقول : " إن الحمدَ يعمّ ما إذا وصل ذلك الإنعام إليك أو إلى غيرك، وأمّا الشكر فهو مختص بالإنعام الواصل إليك ، فقوله (الحمد لله) أولى

(١) ينظر: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية : ٣/٣١١ .

(٢) الفروق اللغوية: ٢٣٨.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٢٥٦ .

من قوله : (الشكر لله)؛ لأن قوله الحمد لله ثناء على الله؛ بسبب كلّ إنعام صدر منه ووصل إلى غيره ، وأمّا الشكر لله فهو تناء؛ بسبب إنعام وصل إلى ذلك القائل"[١] .

وفي هذه المعاوضة بين (الحمد) و (المدح أو الشكر) دلالة واضحة على الاختيار الدقيق في النظم القرآني، وقد بيّن ذلك الدكتور فاضل السامرائي في أن المدح قد يكون للجماد والحيوان، لكنّه لا يكون حمدًا[٢] .

ثانيًا: (الروح) على (القرآن) :

ورد لفظ (الروح) في مواضع مختلفة من التنريل الحكيم ودلّ على معانٍ متعددة تفهم من السياق الذي وردت فيه، وسنقف عند المعنى الذي أطلق فيه لفظ (الروح) على القرآن الكريم ومعاوضة على أسمائه الأخرى.

قال الراغب الاصفهاني : "وسُمّي القرآن روحًا في قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾[٣] ؛ وذلك لكون القرآن سببًا للحياة الأخروية الموصوفة في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾[٤] "[٥].

قال الزجاج : "والروح – والله أعلم – ما كان فيه من أمر الله حياة للنفوس والإرشاد إلى أمر الله ، والدليل على ذلك قوله: ﴿ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾[٦]. واستدل الرازي (ت٦٠٦هـ) بأن الله تعالى أطلق لفظ الروح على جبريل (عليه السلام) وعلى عيسى (عليه السلام)؛ كونهما كانا سببًا من أسباب حياة الأرواح ، فلما حَسُنَ تسميتهما بالروح كانت تسمية الوحي والتنزيل بذلك أولى [٧] .

.

---

(١) مفاتيح الغيب : ١/ ١٩٠-١٩١.

(٢)ينظر: لمسات بيانيه : ١١ .

(٣) الشورى : من الآية ٥٢.

(٤)العنكبوت من الآية ٦٤

(٥)المفردات في غريب القرآن : مادة : (روح) : ٣٦٩.

(٦)معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٢/ ١٩٠.

(٧)مفاتيح الغيب : ١٩/ ١٦٩ .

ويرى الشعراوي (ت ١٤١٨هـ) أنّ علّة إطلاق اسم الروح على التنزيل الحكيم؛ ليبين لنا الحق سبحانه وتعالى أن القرآن روح تعطينا حياة أرقى ، فيقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[١] . تلكم الحياة الأبدية التي لاموت فيها ولا خوف ولا حزن[٢] .

ويرى الباحث أن إطلاق تسمية الروح على القرآن الكريم فيه زيادة تعظيم لشأن القرآن الكريم وبيان لفضائله التي لا تُعدّ والله تعالى أعلم بأسرار كتابه.

ثالثًا: (الجنّة) على (الملائكة) :

ورد لفظ (الجنّة) في مواقع متعددة من التنزيل الحكيم، ودلّ على معانٍ مختلفة تفهم من السياق الذي وردت فيه، ولعل أبرز هذه المعاني تدور حول (الجنون) و (الجنة) و (الملائكة)، وسنقف عند دلالاته على (الملائكة)، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾[٣].

جاء في المفردات غريب القرآن: "والجن يقال على وجهين: أحدهما للروحانيين المستترة عن الحواس كلها بإزاء الإنس ، فعلى هذا تدخل فيه الملائكة والشياطين، فكلّ ملائكةٍ جنّ، وليس كل جنّ ملائكة "[٤] .

قال الزمخشري (ت:٥٣٨هـ): فإن قلت لمَ سمّي الملائكة جنة ؟ قلت : قالوا الجنس واحد ، ولكن من خَبُث من الجنّ ومَرَد، وكان شرًّا كله فهو شيطان، ومن ظَهرَ منهم ونسك وكان خيرًا كله فهو ملك، فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم، وإنما ذكرهم بهذا الاسم وضعًا منهم وتقصيرًا بهم، وإن كانوا معظمين في أنفسهم أن يبلغوا منزلة المناسبة التي أضافوها إليهم، وفيه إشارة إلى أن مَنْ

(١)الأنفال : من الآية ٤ .

(٢)ينظر: تفسير الشعراوي :١٣/ ٧٨٠٤-٧٨٠٥ .

(٣) الصافات : ١٥٨.

(٤) المفردات في غريب القرآن : مادة: (جنّ) : ٢٠٤.

صفته الاجتنان والاستتار، وهو من صفات الإجرام لا يصلح أن يناسب مَن لا يجوز عليه ذلك، ومثاله: أن تسويّ بين المَلِك وبين بعض خواصه ومقرّبيه، فيقول لك: أتسوي بيني وبين عبدي، وإذا ذكره في غير هذا المقام وقّره وكنّاه"[١] .

ومعلوم أن المَلك يسمّى جنًّا بحسب أصل اللغة يكنّ لفظ الجنّة اختص بغيرهم بحسب العُرف، كإطلاق لفظ الدّابة على كل ما يدبّ لكنّه بحسب العُرف مختص ببعض ما يدبّ، فتعمل هذه الآية على أصل اللغة، فيدخل لفظ الملائكة في لفظ الجن[٢]، إذ يمكن أن يسمّى المَلَكُ جنًّا؛ لاستتاره عن الأعين باعتبار أصل اللغة، لكن لا يمكن أن تكون الجن من الملائكة[٣] .

ويرى الباحث أنّ ذكر الملائكة بأنقص اسمائهم وأقلّها فخامة جاء وفقًا لما يقتضيه السياق والمقام؛ ليناسب الحال التي ذكروا فيها من نسبتهم إلى الله تبارك و تعالى.

رابعًا: (الحَيَوان) على (الحياة) :

نجد هذه المعاوضة في قوله تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [٤]، جاء في المفردات في غريب القرآن : "والحَيَوان: مقرّ الحياة، ويقال على ضربين: أحدهما : ما له الحاسّة، والثاني: ما له البقاء الأبدي، وهو المذكور في قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [٥] ، وقد نبّه بقوله : **لَهِيَ الْحَيَوَانُ** ، أن الحيوان الحقيقي السرمدي الذي لا يفنى ، لا ما يبقى مدة ثم يفنى ، وقال بعضُ أهل اللغة : "الحَيَوان والحياة واحد، وقيل: الحَيَوان: ما فيه الحياة، والمَوَتان ما ليس فيه الحياة"[٦].

ومعلوم أن (الحَيَوان) مصدر على وزن (فَعَلان) وهذا الوزن للحركة والاضطراب.

---

(١)الكشاف : ٦٤/٤ .

(٢) ينظر : مفاتيح الغيب:٢/ ٤٢٩، وروح المعاني: ١٤٥/١٢ .

(٣)ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن :٨/ ٦٥، وأسئلة بيانية في القرآن الكريم: ٢/ ١١٧.

(٤)العنكبوت : ٦٤.

(٥) العنكبوت : ٦٤.

(٦) المفردات في غريب القرآن : ٢٦٩ .

وقد التفت سيبويه (ت١٨٠هـ) إلى المناسبة بين الصيغ والمعاني، فقد وقف على ظاهرةٍ مهمةٍ وهي مجيء مجموعة من الألفاظ المتقاربة المعنى على صيغة واحدة، ولعل الدلالة المركزية المشتركة –الحركة والاهتزاز والاضطراب – بين هذه الألفاظ في التي استدعت مجيئها على صيغةٍ واحدة وهي صيغة (فَعَلان)[١] .

ويرى الكرماني (ت نحو ٥٠٥هـ) أن الله تعالى جعل الآخرة حيًّا على المبالغة في الوصف بأنها الحياة التي لا أمد لها ولا نهاية[٢] .

وللزمخشري في هذه المعاوضة تعليل فيه من اللطاقة والدقة مافيه، إذ قال: "هذه فيها ازدراء للدنيا وتصغير لأمرها ، وكيف لا يصغّرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضة، يريد ما هي– لسرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها – إلّا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون، وإن الدار الآخرة لهي الحَيَوان أي: ليس فيها إلّا حياة مستمرةٌ دائمةٌ خالدةُ لا موت فيها ، فكأنها في ذاتها حياة، والحَيَوان: مصدر حي، وقياسه حييان، فقلبت الياء الثانية واوًا ، كما قالوا : حيوة، في اسم رجل، وبه سمّي ما فيه حياة: حيوانًا، قالوا: اشترِ من المَوَتَان، ولا تسترِ من الحَيَوان ، وفي بناء الحَيَوان زيادة معنىً ليس في بناء الحياة ، وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب، كما التزوان والنغصان واللهبان، وما أشبه ذلك، والحياة: حركة ، كما أن الموت سكون ، فمجيؤه على بناء دالٍ على معنى الحركة، مبالغة في معنى الحياة؛ ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة لو كانوا يعلمون فلم يؤثروا الحياة الدنيا عليها[٣] .

فذكر الخطيب الشربيني (ت ٩٧٧هـ) أنّ السياق الذي وردت فيه لفظة (الحَيَوان) له أثر في معاوضتها عن (الحياة)، إذ السياق يدل على حال الاشتغال بالدنيا فاحتيج إلى وازع قوي، فقال لا حياة إلّا حياة الآخرة وعبّر عنه بـ (الحيوان) وهو أبلغ من (الحياة)[٤]، وفي زيادة بنية (الحَيَوان)

(١) ينظر: الكتاب: ٤/ ١٤، وينظر الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : ٢٢ .

(٢) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل:٢/ ٨٨٧، والبرهان في توجيه متشابه القرآن : ١٠٨.

(٣) الكشاف : ٣ / ٤٦٣.

(٤) ينظر: السراج المنير:١٥٣/٣، وعلل التعبير القرآني في تفسير السراج المنير : ٧٧.

دلالة على المبالغة في إثبات المعنى، فكأنّه كاد يسلب معنى الحياة عن الحياة الأولى[١]، إذ البون شاسع بين الحياتينِ، فالحياة في الدار الآخرة تشتمل على الحركة والنشاط وابتهاج النفوس مع دوام ذلك واستمراره وتجدد ألوانه، وهذا ما تشتمل عليه صيغة (الفَعَلان) ، وأما الحياة الدنيا فهي تشتمل على الجمود والانكسار والسأم من رتابة صور الحياة وتكرارها بلا تجددٍ يخفّف وطأة هذا الجمود، فضلاً عن سرعة انقطاع لذّاتها وزوال نعيمها وتحوّل عافيتها[٢]. فأيّ الحياتينِ أكرم وأجمل ، وأي الحالينِ أحق أن يسعى إليها.

المبحث الثاني / المعاوضة بين الأفعال

أولًا: (نزّل) على (أنزَلَ) :

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾[٣]، فقد وردت المعاوضة اللغوية بالفعل (نزّل) على صيغة (فعّل) مع نزول القرآن ، بينما ورد الفل (أنزَلَ) مع الصيغة (أفعَل) مع ذكر نزول التوراة والأنجيل .

وقد ذكر الراغب الأصفهاني هذه المعاوضة اللغوية بين الأفعال الواردة في مواضع كثيرة من التنزيل الحكيم ، جاء في المفردات في غريب القرآن : (النزول في الأصل هو انحطاط من علوّ... والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مُفرّقًا، ومرّة بعد أخرى، والإنزال عامٌ ... (لولا نزّلت سورة)[٤]، (فإذا أنزلت سورة محكمة)[٥]، فإنما ذكر في الأول (نزّل)، وفي الثاني (أنزل) تنبيها أن المنافقين يقترحون أن ينزلَ شيئ فشيء من

(١) ينظر : خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية : ٤٢/٢.

(٢) ينظر: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم: ٩٥، وأثر السياق في دلالة الصيغة الصرفية القرآن في الكريم: ١١١.

(٣) آل عمران : ٣.

(٤) محمد من الآية: ٢٠

(٥) محمد من الآية: ٢٠

الحثّ على القتال ليتولّوه ، وإذا أمروا بذلك مرّةً واحدةً تحاشوا منه فلم يفعلوه ، فهم يقترحون الكثير ولا يفون منه بالقليل "[١] .

وذكر الرازي (ت ٦٠٦هـ) أن الله تعالى نزّل القرآن نجمًا نجمًا، وفيه معنى التكثير؛ لذلك خُصّ بالتنزيل، وأمّا التوراة والإنجيل فإنه تعالى أنزلهما دفعة واحدة؛ فلهذا خصّهما بالإنزال[٢] .

بينما يرى الآلوسي(ت١٣٤٢هـ) أن اختيار الفعل (أنزل) مع التوراة والإنجيل فيه إشارة إلى أنه لم يكن لهما سوى نزول واحد بخلاف القرآن الكريم فإن له نزولين الأول نزول من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من سماء الدنيا جملةً واحدةً، والثاني: نزول من بيت العزّة إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، في ثلاث وعشرين سنة، فاستعمل لذلك الفعْل (نزّل)؛ ليدل على التدريج[٣] .

يقول الدكتور فاضل صالح السامرلي : " وقد يرد في القرآن الكريم (فعّل) و(أفعَل) بمعنى واحد، مثل : نجّى، وأنجى ، ونزّل ، وأنزَل، ونحن نحاول أن نتلمس الفرق بينهما في الاستعمال القرآني ... والذي يبدو أن استعمال (نزّل) قد يكون للتدريج والتكثير، وقد يكون للاهتمام والمبالغة...، فالتنزيل قد يستعمل فيما هو أهم وأبلغ من الإنزال .... فما استعمل فيه (نزّل) يكون أهم وآكد ممّا استعمل فيه (أنزَلَ)[٤] .

ويميل الباحث إلى ما تقدم من دلالة (نزّل) مع القرآن الكريم؛ لأنه نزل منجمًّا ومفرّقًا، ودلالة التوراة والإنجيل بفعل (الإنزال)؛ لأنهما نزلا جملة واحدة، وأما ما ذكر من لفظة (نزّل) و(أنزَل) والمراد به القرآن الكريم فإنه يدل على أنّه نزل جملةً واحدةً إلى السماء الدنيا هو النزول الأول، ومن

(١)المفردات في غريب القرآن : ٧٩٩ – ٨٠٠

(٢) ينظر : مفاتيح الغيب : ٧/ ١٣٠.

(٣) ينظر: روح المعاني :٧٥/٢ .

(٤) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني : ٥٨–٦٠ – ٦١ .

ذلك قوله تعالى بعد ذكر إنزال التوراة والإنجيل : (وأنزل الفرقان)[١]؛ لأن مراد القرآن الكريم بدلالة الإنزال إلى جانب التنزيل، والله تعالى أعلم بأسرار كتابه.

ثانيًا: (المَس) على غيره من الأفعال:

وردت هذه المعاوضة اللغوية في موضعين من التنزيل الحكيم ، وهو ما جاء في قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾[٢]، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾[٣] .

وقد ذكر الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) هذا الفعل بقوله : "المسُّ كما اللّمس لكن اللمس قد يقال لطلب الشيء وإن لم يوجد .. والمسّ يقال فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس ، وكُنّي به عن النكاح ، فقيل: مسّها وماسّها، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ ﴾[٤] ، وقال تعالى: ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾[٥]، والمسيس كناية عن النكاح ... ، والمسّ يقال في كل ما ينال الإنسان من أذى "[٦] .

جاء في الوجوه والنظائر : "أصل المسّ اللصوق ، مَسستُه بيدي ثم قيل على وجه التمثيل مسّهُ الضّرّ ، وقيل : مسّه النار، ومسّ الرجل المرأةَ إذا جامعها، والمسّ الجنون، ورجل ممسوس مجنون، ... والمسّ في القرآن على أربعة أوجه:

الأول: الجماع ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ ﴾[٧] .

---

(١)آل عمران : من الآية ٤.

(٢) آل عمران : من الآية ٤٧ .

(٣) مريم : ٢٠

(٤) البقرة : من الآية ٢٣٧.

(٥) آل عمران : من الآية ٤٧ .

(٦) المفردات في غريب القرآن مادة مسّ: ٧٦٦-٧٦٧.

(٧) الأحزاب من الآية ٤٩.

﴿ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾[١]،وإنا سمّي الجماع مسًّا؛ لأنه مع المسّ يكون .

الثاني : الإصابة ، قال تعالى: ﴿مَسَّتْ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾[٢] ، أي : أصابتهم الشدة والرخاء ، فجعل المسّ هنا موضع الإصابة ... وقال : ﴿ مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾[٣]،وقال : ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾[٤] .

الثالث: الجنون، قال تعالى: ﴿ يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾[٥] .

الرابع: المسّ بالجارحة، قال تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾[٦]، أراد بالمطهرين الملائكة ، وهو التطهير من الذنوب[٧] .

وذكر الرازي(ت ٦٠٦ هـ) أن المسّ كناية مخصوصة بالنكاح الحلال، فلا يدخل الزنا في هذه الكناية؛ لأنه يقال في الزنا فَجَر بها أو ما أشبه ذلك[٨] .

بينما يرى الشعراوي (ت١٤١٨هـ) أن النظم القرآني اختار أخفّ لفظ في وصف تلك المسألة وهو لفظ المَسّ، وهو تعبير في منتهى الدقة، وكأنّ الله تعالى يريد أن يثبت للسيدة مريم (عليها

(١) آل عمران: من الآية ٤٧

(٢) الاعراف : من الآية ٩٥.

(٣) ص : من الآية ٤١

(٤) الحجر : من الآية ٤٨

(٥) البقرة : من الآية ٢٧٥

(٦) الواقعة : ٧٩

(٧) الوجوه والنظائر: ٤٣٥.

(٨)ينظر: مفاتيح الغيب : ٥٢٣/٢١، وأنوار التنزيل : ٤ / ٨، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان :٤٧٨/٤.

السلام) عفافاً حتى في اللفظ ، فنفى مجرد مسّ البشر لها ، على الرغم من أن المقصود باللفظ هو المباشرة والجماع؛ لأن الآية بصدد إثبات عفّة مريم[١].

وهو ما يميل إليه الباحث : إذ أن سياق الآيات هو إبعاد الشبهة عن مريم (عليها السلام)، وإثبات عفّتها؛ فلذلك اختار التنزيل الحكيم اللفظ الدال على بعد الشبهة بأبسط أشكالها، وهو المس ليتحقق إثبات العفة فيما هو أكبر من ذلك، وهو ما لا يتحقق بصورته هذه لو وضِعَ فعل آخر غير المسّ، والله تعالى أعلم.

(١) ينظر : تفسير الشعراوي:٢/ ١٠١٧.

أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

١- أظهرت هذه الدراسة العقلية العلمية الفذة للراغب الأصفهاني، التي تتجلى في تعليلاته واختياراته

٢- بينت الدراسة المعاوضة اللغوية للنظم القرآني في كتاب المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني.

٣- جاءت تعليلات الراغب الأصفهاني للمعاوضة اللغوية في الغالب مختصرة دون إخلال.

٤- تركزت المعاوضة في كتاب المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني على المعاوضة بين الأسماء والمعاوضة بين الأفعال بشكل أقل.

٥- لم تقف الدراسة على المعاوضة اللغوية بين الحروف إذ اعتمدت الدراسة على منهجية الراغب الأصفهاني في كتابه في ذكر المادة اللغوية دون ذكر الحروف.

٦- للسياق والمقام أثر كبير في استعمال لفظ دون غيره من الألفاظ .

التوصيات

بعد إتمام البحث وبيان أهم النتائج لا بدّ من تسجيل بعض التوصيات، منها:

١. القراءة العميقة لكتاب الله تعالى بتدبر وتمعّنٍ، والوقوف عند كلّ لفظ من

التنزيل الحكيم؛ لفهم المعنى المراد بدقّة.

٢. الوقوف عند الجانب اللغوي للتنزيل الحكيم من خلال قراءة التفاسير التي تُعنى بالجانب اللغوي، فضلاً عن أسباب النزول.

٣. الأثر الكبير للمعاوضة اللغوية والدلالة الدقيقة لكل لفظٍ دون الألفاظ المرادفة له.

٤. عدم إغفال الجانب البلاغي واللغوي، إذ هما الأساس في إيضاح العديد من الجوانب الإعجازية للزيل الحكيم.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. أثر السياق في دلالة الصيغة الصرفية القرآن في الكريم، لمروة عباس حسن علي، رسالة ماجستير، جامعة ديالى، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

٢. أسئلة بيانية في القرآن الكريم، للدكتور فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٣. الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، للدكتور عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت- لبنان، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ

٥. البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ)، المحقق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، د. ت.

٦. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، للدكتور فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتب،القاهرة، ط٢، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٧. تفسير الشعراوي – الخواطر، لمحمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، د. ط، نشر عام ١٩٩٧ م .

٨. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى)،عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م

٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .

١٠.السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، ١٢٨٥ هـ

١١.العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

١٢. غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ)، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت.

١٣.غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، تح: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.

١٤.الفروق اللغوية، لأبي الهلال الحسن بن عبد الله العسكري، (ت:٣٩٥هـ)، حققه وعلّق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة–مصر.

١٥.فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري الغنوجي، (ت١٣٠٧هـ) عني بطبعه وقدم له وراجعه: فادي العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا – بيروت، د.ط، ١٤١٢–١٩٩٢م.

١٦.القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان،الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

١٧.الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١٨.الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٩.لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٠.معاني القرآن وإعرابه للزجاج : معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، د. محمود عبد الرحمن عبد المنعم، جامعة الأزهر، دار الفضيلة .

٢١.مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

٢٢.المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ

٢٣.الوجوه والنظائر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى العسكري، (ت نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.